حقيقة الصبر و علاقته بالتوحيد و أعمال القلوب

مقدمته / د. زينب محمد رجاء الله الحربي
أستاذ مساعد تخصص / عقيدة و مذاهب معاصرة
كلية التربية للبنات الأقسام الأدبية
فرع جامعة الملك عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل الصبر زاد المتقين ، و خلق المؤمنين ، و شمل بمعيته الصابرين و الصلاة و السلام علي سيد الصابرين محمد صلي الله علية وسلم و علي آله وصحبه أجمعين ،،،

وبعد :-

فإن من كمال نعمة الله علي عباده ، أن خلق لهم أسباب القدرة علي مواجهة المصائب ، و تحمل المشاق ، و تذليل الصعاب ، وهي التي جعل تعالى من سننه في خلقه ألا تخلو منها الحياة علي الأرض ، فجعل الصبر بلسماً لجروح المؤمنين ، كما جعله سبيل المؤمنين إلي نوال معية الله و نصره في الدنيا ، و الفوز بجناته و نعيمه في الآخرة ..

و حسب الصبر شرفاً أنه الخلق الذي يسري في أوردة الدين و شرايينه مسرى الدم ..

أهمية الموضوع :

قد عني القرآن الكريم بالصبر أيما عناية فلا تكاد سورة تخلو من ذكره ، و خصه بالثناء و المدح ، و خص أهله بعظيم الجزاء في الدنيا و الآخرة مما يدفع الباحث المسلم إلي محاولة سبر و بيان حقيقته و علاقته بالتوحيد و أعمال القلوب.

و هذا ما رغبت في استجلاء ملامحه من خلال هذا البحث و الذي جعلت خطته كما يلي :

المبحث الأول : حقيقة الصبر و فيه ثلاث مطالب :

المطلب الأول : تعريف الصبر لغة.

المطلب الثاني : تعريف الصبر أصطلاحاً.

المطلب الثالث : أنواع الصبر.

المبحث الثاني : علاقة الصبر بالتوحيد و فيه ثلاث مطالب :

المطلب الأول : علاقة الصبر بتوحيد الألوهية.

المطلب الثاني : علاقة الصبر بتوحيد الربوبية.

المطلب الثالث : علاقة الصبر بتوحيد الأسماء و الصفات.

المبحث الثالث : علاقة الصبر بأعمال القلوب و فية ست مطالب :-

المطلب الأول : علاقة الصبر بالمحبة.

المطلب الثاني : علاقة الصبر باليقين.

المطلب الثالث : علاقة الصبر بالتقوى.

المطلب الرابع : علاقة الصبر بالرضا.

المطلب الخامس : علاقة الصبر بالتوكل.

المطلب السادس : علاقة الصبر بالشكر .

و قد أفندت كثير من المراجع التي أفردها أصحابها لموضوع الصبر و خاصة القديمة منها ، و أخيراً أرجو أن أكون وفقت للحق فيه ، و أن يجعله تعالى خالصاً لوجهه الكريم مقبولاً عنده إنه سميع مجيب و ما توفيقي الإ بالله.

المبحث الأول
حقيقة الصبر

وفيه ثلاث مطالب هي :

المطلب الأول : تعريف الصبر لغةً.

المطلب الثاني : تعريف الصبر اصطلاحاً.

المطلب الثالث : أنواع الصبر.

المبحث الأول
حقيقة الصبر

توطئة :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه و الصلاة و السلام علي من أرسله الله لعباده مرشداً و دليلاً و على أصحابه و سلم تسليماً كثيراً .

فإن نظرة عامة علي البناء الإسلامي الشامخ منهجاً و عقيدة و شريعة، و أحكاماً تجعلنا نتساءل بدهشة كيف تم بناء هذا الصرح الوطيد الأركان في أحلك فترات البشرية ظلاماً ، و في قوم هم أشد الناس طباعاً.

ثلاثة عشر عاماً ليلاً و نهاراً من أجل ترويض النفوس النافرة علي فكرة واحدة هي " توحيد الله ". يعرض النبي الأمي محمد صلي الله عليه و سلم هذه العقيدة كل يوم ، و يجدد عرضها في كل مناسبة متجاوزاً في صبر جميل ردود الأفعال التي تهز رواسي الجبال[1]. بطريقة عجيبة تدرب النفوس الإنسانية علي الممارسة اليومية للصبر ، وضبط النفس ، و كأنها إشارة إلي أن الصبر هو " الذخيرة الحية " لأصحاب الدعوات و هو زاد المتقين الذي يعينهم علي أداء وظيفتهم التي خلقوا من أجلها.

حتي إذا ما تمت صياغة " المادة الخام " و اختمرت عجينة البناء ، بناء الإنسان الصالح ، و القالب الأساسي الذي تصب فيه تعاليم الإسلام ، أذن الله ببناء الشريعة الإسلامية علي تلك القواعد الصلبة من التوحيد الخالص لله. فقام ذلك الصرح الإسلامي في صبر و تؤدة ، و شيد لبنة لبنة و كان الصبر مفتاح هذا الدين للدخول إلي القلوب و العقول و وسيلته في

---

(١) الإمام محمد بن عبد الوهاب ــ مختصر سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم ــ جـ (٤) ــ ص (٥٣).

إقامة بنائه الشامخ.

و هكذا نرى الإسلام يأخذ الناس بالرفق و الأناة و الهدوء إلي عز الدنيا و الآخرة ..

أفلا يستوجب ذلك منا معشر المسلمين أن نستلهم طريقة ديننا في البناء و طريقة رسولنا محمد صلي الله عليه و سلم في الدعوة خاصة في مثل هذا الوقت الذي نحن أحوج ما نكون فيه إلي ذلك.

المطلب الاول : تعريف الصبر لغةً :

يطلق الصبر على ثلاثة معانى فى اللغة وهى :

١- المنع والحبس :

وهو أصل لاشتقاق الكلمة يقال : صبرت صبراً حبست النفس عن الجزع[١].

وصبر عنه : حبس نفسه عنه ، وصبر نفسه : حبسها وضبطها[٢].

ومنه قوله تعالى : " و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم "[٣].

قال ابن القيم الجوزية[*]. فى أصل الكلمة : أصل هذه لكلمة هو

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى ــ ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ــ لسان العرب ــ جـ (١١) ــ ط (٣) ــ صـ (٤٠٣).

(٢) أحمد بن محمد بن على الفيومى المقرئ ــ ١٩٨٧ م ــ المصباح المنير ــ جـ (١) ــ صـ (٣٣١).

(٣) سورة الكهف ــ الآية " ٢٨ ".

(*)ابن القيم الجوزية ولد بدمشق سنة ٦٩١ هـ و توفى سنة ٧٥١ هـ ، نشأ فى بيت علم وصلاح (الإمام الحافظ أبى الفداء بن كثير ــ ١٤٠٨ هـ ــ البداية والنهاية ــ جـ (١٢) ــ ط (١) ــ ص ٢٢٤).

المنع والحبس ..

فالصبر حبس النفس عن الجزع ، اللسان عن التشكى ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب[١].

والخلاصة ان الصبر فيه تحكم فى النفس وضبطها ، فكأنه يحول بينها وبين سلوك معين ، وهذا يعنى أنه أيضاً قد يكون سلوكاً نفسياً إذ هو يمثل ارادة الانسان واختباره ، بل هو من أظهر أنواع السلوك فى تقدير ارادة الإنسان تميزه عن غيره من الكائنات ..وقد جاء الصبر فى القرأن الكريم بمعنى الحبس فى قوله تعالى : وإذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد "[٢].

كما جاء بمعنى الجزع فى قوله تعالى : سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص "[٣].

<u>الشدة و التجلد و القوة :</u>

يقال : الصبر للدواء المعروف لشدة مرارته[٤].

و منه الصبر : بضم الصاد : للأرض ذات الخصب لشدتها و صلابتها [٥]. و منه : الصبر : أي التجلد و حسن الإحتمال ، وقد جاء

---

(١) محمد أبى بكر أيوب الزرعى ــ عدة الصابرين وذخيرة للشاكرين ــ ابن القيم الجوزية ــ ص ــ (١٠).

(٢) سورة البقرة ــ الآية " ٦١ ".

(٣) سورة ابراهيم ــ الآية " ٢١ ".

(٤) محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى ــ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ــ مدارج السالكين / ابن القيم الجوزية ــ ط (٢) ــ ص (١٩).

(٥) مرزوق صنيتان بن تنباك ــ ١٤٢١ هـ ــ موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ــ ص (٩).

الصبر بهذا المعنى في قوله تعالى : " إن كاد ليضلّنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها و سوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا "[١].

٢- **الجرأة :**

و منه قوله تعالى : " فما أصبرهم علي النار "[٢]. أي ما أجرأهم علي أعمال أهل النار.

٣- **الضم والتجمع :**

يقال استبصر : أي تكوم و تجمع و منه استبصر الطعام

ويقال : أخذ الشئ بأصباره : أي تاماً بأجمعه ، و الصبرة : الكومة من الطعام[٣].

كما أن الصبر استجماع للقوة من مواجهة الموقف الذي يستدعي الصبر و ذلك للوهلة الأولى . فالصابر يجمع نفسه و يضمها عن الهلع و الجزع[٤].

و هكذا نجد الصبر : هو تجمع لأكثر من فعل أو شعور و ضم لأكثر خصال النفس.

---

(١) سورة الفرقان ــ الآية " ٤٢ ".

(٢) سورة البقرة ــ الآية " ١٧٥ ".

(٣) المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية ــ ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ــ جـ (١) ــ ط (٢) ــ ص (٥٠٨).

(٤) . محمد أبى بكر أيوب الزرعى ــ عدة الصابرين وذخيرة للشاكرين ــ ابن القيم الجوزية ــ صـ (١١)

المطلب الثاني : تعريف الصبر اصطلاحاً :-

عرف علماء المسلمين الصبر في الشرع بأنه :

ثبات باعث الدين في مقابل باعث الشهوة[١].

و هو حبس النفس عن الجزع و التسخط ، و حبس اللسان عن الشكوى ، و حبس الجوارح عن التشويش[٢].

قال عمر بن عثمان هو : الثبات مع الله و تلقي بلائه بالرحب و الدعة[٣]. و ربما كان أشمل هذه التعاريف هو تعريف الغزالي (*) : ثبات باعث الدين في مقابل باعث الشهوة[٤].

فإن ذلك يكون في جميع ما يستدعي الصبر نعمة كان أو بلاء ، عملاً كان أو تركاً ، شعوراً كان أو فعلاً ، كما يشمل حبس النفس و شدتها و تجمع الخصال الأربعة للصبر و هي :

أولاً : استجماع للقوة في مواجهة الموقف الذي يستدعي الصبر و ذلك للوهلة الأولي .

---

(١) أبو حامد الغزالي ــ ١٩٨٧ م ــ إحياء علوم الدين ــ ط (٤) ــ ص (٦٢).

(٢) محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى ــ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ــ مدارج السالكين / ابن القيم الجوزية ــ ط (٢) ــ ص (١٥٦).

(*)هو محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ولد سنة ٤٥٠ هـ وتفقه على يد إمام الحرمين و كان من أذكياء العالم و توفي عام ٥٠٤ هـ (الإمام الحافظ أبى الفداء بن كثير ــ ١٤٠٨ هـ ــ البداية والنهاية ــ جـ (١٢) ــ ط (١) ــ ص ١٧٥)

(٣) محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى ــ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ــ مدارج السالكين / ابن القيم الجوزية ــ ط (٢) ــ ص (١٥٨).

(٤) محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى ــ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ــ مدارج السالكين / ابن القيم الجوزية ــ ط (٢) ــ ص (١٥٨).

ثانياً : امتناع عن الشئ أو عن التصرف بطريقة معينة مع ما يستلزم ذلك من قوة .

ثالثاً : تحمل لما يفوت الإنسان من المصلحة في ذلك رغبةً في شئ آخر .

رابعاً : انتظار لزوال السبب الموجب للإمتناع .

و نخلص مما سبق أن الصبر هو الثبات ، و الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب و حبس النفس علي ما أصابها و عدم النفور من المقدور[١].

كما أنه قهر النفس علي احتمال المكاره و توطينها علي تحمل المشاق و تجنب الجزع و ترويضها علي أداء ما يقتضيه الشرع و العقل و الدين في مقابلة باعث الهوى و هو بهذا قوة دافعة تدفع النفس إلي فعل الخير ، و قوة جاذبة تحول بين المرء و عمل الشر[٢].

---

(١) محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى ــ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ــ مدارج السالكين / ابن القيم الجوزية ــ ط (٢) ــ ص (١٩).

(٢) . مرزوق صنيتان بن تنباك ــ ١٤٢١ هـ ــ موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ــ ص (٩)

المطلب الثالث : أنواع الصبر في القرآن الكريم :

يمكن تبين أنواع عديدة من الصبر مثبوتة في الآيات القرآنية التي تحدثت عن الصبر ، بحيث يمكن القول أن الصبر ينقسم باعتبارات هي :

أولاً : باعتبار طبيعته :

فينقسم الصبر بطبيعته إلي :

١. **صبر لله :**

و هو أن يكون الباعث علي الصبر محبة الله و إرادة وجهه و التقرب إليه لإظهار قوة النفس و طلب الحمد من الخلق [١] ، فهو صبر من أجل غاية مطلوبة و هدف واضح المعالم يتلمسه الإنسان و يستصحبه أثناء الصبر فهي غاية مرافقة لسلوك الصبر ، نابعة من التصور الإيماني لألوهية الله. قال تعالى : " و لربك فاصبر "[٢]. قال مجاهد : اجعل صبرك علي أذاهم لوجه ربك تعالى[٣] و قال تعالى : " و اصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا "[٤].

أي اصبر علي أذاهم و لا تبال بهم فإنك بمرأى منا و تحت كلاءتنا .فيكون الباعث علي الصبر إرادة وجه الله و التقرب إليه[٥]. و بهذا يكون الصبر عبادة و قربة لله من أسمى القربات لأنها خالصة لله تعالى .

---

(١) محمود بن الشريف ــ الصبر في القرآن ــ ص (١٩).

(٢) سورة المدثّر ــ الآية " ٧ ".

(٣) الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير ــ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ــ تفسير ابن كثير ــ جـ (٨) ــ ص (٥٦٨).

(٤) سورة الطور ــ الآية " ٤٨ ".

(٥) الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير ــ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ــ تفسير ابن كثير ــ جـ (٨) ــ ص (٣٩٤).

٢. الصبر بالله :

أي بالاستعانة به قال تعالى : " و اصبر و ما صبرك إلا بالله "[١].

قال ابن كثير : إخبار عن ذلك " لا ينال العبد رجاءه إلا بمشـيئة الله تعالى و إعانته و حوله و قوته "[٢].

٣. الصبر مع الله :

و هو دوران العبد مع مراد الله الديني منه و مع أحكامه تعالى[٣] و هو التزام عبادة الله في كل اعتقاد و سلوك أو قول أو فعل طلباً لمعيـة الله تعالى : " إن الله مع الصابرين "[٤].

ثانياً : باعتبار مواطنه :

أي مواضع الصبر و هي عديدة .

١. الصبر على ما يصاب به الإنسان :

و يشمل ذلك البأساء و الضراء و كل ما يصاب به الإنسان من خير أو شر في نفسه أو ماله أو ولده أو أهله قال تعالى : " و نبلوكم بالشـر و الخير فتنة ، و إلينا ترجعون "[٥].

و قال تعالى : " لتبلون في أموالكم و أنفسكم و لتسمعن مـن الـذين أوتوا الكتاب من قبلكم و من الذين أشركوا أذى كثيراً و إن تصبروا و تتقوا

---

(١) سورة النحل ــ الآية " ١٢٧ ".

(٢) . الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير ــ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ــ تفسير ابن كثير ــ جـ (٨) ــ ص (٣٥٣)

(٣) محمود بن الشريف ــ الصبر في القرآن ــ ص (٢٠).

(٤) سورة الأنفال ــ الآية " ٤٦ ".

(٥) سورة الأنبياء ــ الآية " ٣٥ ".

فإن ذلك من عزم الأمور "[١].

٢. **الصبر في الجهاد و حين البأس :**

أي الصبر علي الجهاد فى سبيل الله و حين البأس. قال تعالى: " أم حسبتم ان تدخلوا الجنة، و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين "[٢].

٣. **الصبر في الطاعات و العبادة :**

قال تعالى : " و اصطبر لعبادته "[٣].

و قال تعالى : " و أمر أهلك بالصلاة و اصطبر عليها "[٤].

٤. **الصبر في الدعوة :**

و دليله قوله تعالى : " و اصبر علي ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً "[٥].

و قال تعالى : " و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشيّ يريدون وجهه "[٦].

٥. **الصبر علي المعصية :**

و دليله قوله تعالى علي لسان موسى عليه السلام للخضر : " ستجدني إن شاء الله صابراً و لا أعصي لك أمراً "[٧].

---

(١) سورة آل عمران ــ الآية " ١٨٦ ".

(٢) سورة آل عمران ــ الآية " ١٤٢ ".

(٣) سورة مريم ــ الآية " ٦٥ ".

(٤) سورة طه ــ الآية " ١٣٢ ".

(٥) سورة المزمل ــ الآية " ١٠ ".

(٦) سورة الكهف ــ الآية " ٢٨ "..

(٧) سورة الكهف ــ الآية " ٦٩"..

المبحث الثاني
علاقة الصبر بالتوحيد

وفيه ثلاث مطالب هي :

المطلب الأول: علاقة الصبر بتوحيد الألوهية.

المطلب الثاني: علاقة الصبر بتوحيد الربوبية.

المطلب الثالث: علاقة الصبر بتوحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثاني
علاقة الصبر بالتوحيد

توطئه :

لقد نص القرآن الكريم على ارتباط الصبر بالإيمان مما يدل دلالة واضحة على مكانة الصبر فى البناء الإسلامى ، وعمق أصالته فى تكوين أهم لبناته بل إن فقدان عنصر الصبر فى حياة الناس يعتبر خللاً خطيراً فى التكوين العقائدي و الإيمانى هذا بالإضافة إلي أن للصبر أهمية بالغة فى حل مشاكل البشر ودوره المباشر فى اسعادهم فى حياتهم الدنيا وفلاحهم فى الآخرة وهذا مطلب كل مسلم ينشد السعادة فى الدارين .

وفضلاً عن كون الصبر مقتضى عقدى للمسلم فإن الصبر يعتبر روح كثير من الاخلاق التى لا تستقيم حياة الإنسان بدونها ، " فالحلم " على سبيل المثال هو حبس النفس عن الغضب او الصبر عن الغضب وتتجلى أروع معانى الحلم فى " كظم الغيظ " وهو إمساك عن إظهار ما فى النفس من الحنق الشديد[١]، وإنما يكون ذلك فى أصعب المواقف على النفس و أشدها وقعاً وهو أحد أعظم أوجه الصبر وقد مدح الله تعالى الكاظمين الغيظ فقال تعالى : " و الكاظيمن الغيظ و العافين عن الناس والله يحب المحسنين "[٢].

وهكذا تكون محاسن الاخلاق نابعة من معين الصبر و إنما تبلغ ذروتها فى اكمل المؤمنين ايماناً ، مما يوضح ارتباط الصبر والأخلاق بالإيمان قال عليه الصلاة والسلام : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً "[٣].

---

(١) أحمد بن محمد بن على الفيومى المقرئ ــ ١٩٨٧ م ــ المصباح المنير ــ جـ (١) ــ صـ (٤٥٨ ، ٥٣٤).

(٢) سورة آل عمران ــ الآية " ١٣٤ ".

(٣) أبو حاتم محمد بن حبان البستى ــ ١٩٩٣ م ــ صحيح ابن حبان ــ ط (٢) ــ ص (٢٢٧).

وقال على رضى الله عنه : " ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس بار الجسد ". ثم قال : " ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له "[١].

المطلب الأول : علاقة الصبر بتوحيد الألوهية :-

إن الصبر فى القرآن الكريم ارتبط بجملة من الاعتقادات المرتبطة بالإيمان بالله .

بل إن الصبر نصف الإيمان. يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : الإيمان نصفان ، نصف صبر و نصف شكر "[٢]. لهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر فى قوله تعالى : " إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور "[٣].

وقد علق ابن القيم الجوزية على قول ابن مسعود بقوله : إن الإيمان اسم لمجموع القول والعمل والنية ، وهى ترجع إلىفعل وترك ، فالفعل :هو العمل بطاعة الله وهو حقيقة الشكر .

والترك : هو الصبر عن المعصية والدين كله فعل المأمور وترك المحظور .

كما أن الإيمان مبنى على ركنين : يقين وصبر ، قال تعالى : " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون "[٤].

---

(١) محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى ــ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ــ مدارج السالكين / ابن القيم الجوزية ــ ط (٢) ــ ص (٩٥).

(٢) محمد أبى بكر أيوب الزرعى ــ عدة الصابرين وذخيرة للشاكرين ــ ابن القيم الجوزية ــ صـ (١٠٨).

(٣) سورة ابراهيم ــ الآية " ٥ ".

(٤) سورة السجدة ــ الآية " ٢٤ ".

ولا يحصل للانسان التصديق بالأمر والنهى أنه من عند الله و بالثواب و العقاب إلا باليقين بأن الله معبوده بحق وأنه المستحق لعبادته وحده لا شريك له . ولا يمكنه الدوام على فعل المأمور وترك المحظور ألا بالصبر ، فصار الصبر نصف الإيمان .

أضف إلىذلك أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل وهذالا يكون إلا لمن عرف الله حق المعرفة فيحب لله ويبغض لله ويستسلم بقلبة لله وحده وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهراً وباطناً [١].. (٤)

وقد اثنى الله سبحانه على الصبر وأهله. قال تعالى : " إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون[٢].. (٥)

ولابد مع الصبر من قوة العزيمة لتحقيق المراد وبلوغ الهدف وهى عاطفة تغذيها الإرادة وتشعلها الحماسة وتديمها الثقة بالله وفرجه وقربه من عبده إذا لجأ اليه .

والصبر الذى يفقد قوة العزيمة والثقة بالله يكون مآله إلى اليأس ثم الإستسلام ثم القنوط من رحمة الله وهو ماليس من صفات المؤمن[٣].

يقول تعالى : " قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين ، قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون "[٤].

---

(١) محمد أبى بكر أيوب الزرعى ــ عدة الصابرين وذخيرة للشاكرين ــ ابن القيم الجوزية ــ صـ (١٠٨ : ١١١).

(٢) سورة المؤمنون ــ الآية " ١١١ ".

(٣) مرزوق صنيتان بن تنباك ــ ١٤٢١ هـ ــ موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ــ ص (١١٤).

(٤) سورة الحجر ــ الآيتان " ٥٥ ، ٥٦ ".

فالصبر وقوة العزيمة ثمرة من ثمار الإيمان بالله قال تعالى : " ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور "[١].

كما أن الصبر لله مقتضاه أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله وارادة وجهه والتقرب إليه وهنا يظهر لنا كيف يكون العبد متعلق بألوهية الله تعالى لأن الصبر لله عبادة والصبر به استعانة والعبادة غاية و وسيلة والغاية مرادة لنفسها والوسيلة مرادة لغيرها. كما أن الصبر لله فيما هو حق له ومحبوب له ومرْض له يجعل الصبر عماداً تقوى به النفوس وتنبعث للعمل فيحقق لها الفلاح والفوز برضا الله تعالى[٢].

كما جعل الله سبحانه و تعالى الصبر عوناً وعدةً على فعل العبادات وأمر بالاستعانة به و قال سبحانه و تعالى : " و استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين "[٣].

---

(١) سورة الشورى ــ الآية " ٤٣".

(٢) مرزوق صنيتان بن تنباك ــ ١٤٢١ هـ ــ موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ــ ص (٦٧ ، ٦٩).

(٣) سورة البقرة ــ الآية " ٤٥ ".

المطلب الثانى : علاقة الصبر بتوحيد الربوبية :-

فى الحقيقة أن الصبر به سبحانه و تعالى متعلق بربوبيته ومما يدل على ذلك أن الصبر مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر فكل من شهد الحقيقة الكونية صبر به سبحانه و تعالى : " أمن يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف السوء و يجعالكم خلفاء الأرض "[١].. (١) فكل إنسان إذا حلّت به كربة فإنه يصبر حتى تنفرج كربته ويلجأ إلى ربه مستجدياً وطالباً فرجه ، قال تعالى : " و إذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه "[٢].. (٢) و ذلك اعترافاً من الإنسان بأنه لا مرد له منه ولا محيد له عنه لا مرجع فى دفع الشدائد إلا إليه ولا معتمد فى كشفها إلا عليه[٣].. (٣)

وفى الحقيقة أن اعتقاد المؤمن بأنه يأوي إلى ركن شديد فى مواجهة المصائب إلى ربه الذى خلقه من العدم ورزقه من لا حول له ولا قوة يخفف على نفسه وطأة المكاره ويقلل ذلك من أثر المصائب والابتلاءات على حياته و هذا هو عمل الصبر ووظيفته .

قال تعالى : " فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً "[٤].. (٤)

يقول عمر بن عبد العزيز : " ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضها مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعة "[٥].. (٥)

---

(١) سورة النمل ــ الآية " ٦٢ ".

(٢) سورة الزمر ــ الآية " ٨ ".

(٣) مرزوق صنيتان بن تنباك ــ ١٤٢١ هـ ــ موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ــ ص (٧١).

(٤) سورة الانشراح الآيتان " ٥ ، ٦ ".

(٥) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى ــ ٢٠٠٠ م ــ اللطائف والظرائف ــ ط (٢) ــ ص (١٠).

كما أن النصر يأتي بالصبر والتقوى ومن أيقن أن الله يكلؤه برعايته ، و يحفظه بإرادته وقاه من كيد أعدائه. قال تعالى : " و إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً "(١).

وقال صلى الله عليه وسلم : " واعلم أن النصر مع الصبر "(٢).

وهكذا نجدا أن الصبر ضرورة لازمة للانسان فلا ينتصر دين ولا تنهض دنيا إلا بالصبر ، فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية وهو ضرورة للناس عامةً وللمؤمنين خاصةً لأنهم أشد تعرضاً للأذى والمحن والابتلاء ، والجنة ثمنها الصبر على البأساء والضراء فالمهم أن نعرف كيف نصبر ؟ ولمن نصبر ؟؟؟ وماذا نريد بصبرنا ونحتسب في ذلك ونحسن النية فيه .

---

(١) سورة ال عمران ــ الآية " ١٢٠ ".

(٢) محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ــ ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ــ المستدرك على الصحيحين ــ ط (١) ــ ص (٦٢٤).

المطلب الثالث : علاقة الصبر بتوحيد الأسماء والصفات :-

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرف الخلق بالله تعالى ، و أعظمهم تنزيهاً له يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل ، يدعون له ولداً وهو يعافيهم ويرزقهم "[١].

ومن أسماء الله الحسنى " الصبور" وهو من أمثلة المبالغة أبلغ من الصابر و الصبار ، وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق ولا يماثله من وجوه متعددة منها أنه لا يلحقه بصبره ألم ولا حزن ولا نقص ، و أن صبره عن قدرة تامة ، والله سبحانه لا يزعجه كفر العباد ولا شركهم و فجورهم بل يصبر عليهم ويمهلهم ويرفق بهم ويستصلحهم حتى إذا لم ينيبوا إليه سبحانه لا من باب الإحسان والنعم ولا من باب البلاء والنقم أخذهم أخذ عزيز مقتدر[٢]. وصبر الله عز وجل صبر مع كمال علم وقدرة وعظمة وعزة. قال تعالى : " إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً "[٣].

وفى هذا شعار بأن السموات والارض تهم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتى به العباد من الذنوب فيمسكها بحلمه ومعرفته و فى ذلك حبس لعقوبة المولى سبحانه عن عباده وهو حقيقة صبره تعالى .

وهذا من آثار مدافعة رحمته لغضبه ، ولهذا كان من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم : " اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك "[٤].

---

(١) محمد بن إسماعيل الجعفى ــ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ــ صحيح البخارى ــ ط (٣) ــ ص (٢٣٨٤).

(٢) عبد الله بن أحمد بن على الزيد ــ ١٤١٦ هـ ــ مختصر تفسير البغوى المسمى بمعالم التنزيل ــ ط (١) ــ ص (١٧٤ : ١٨١).

(٣) سورة فاطر ــ الآية " ٤١ "

(٤) مسلم بن حجاج النيسابورى ــ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ــ صحيح مسلم ــ ط (٢) ــ ص (٣٥٢.

المبحث الثالث
علاقة الصبر بأعمال القلوب

و فيه ستة مطالب هي :

المطلب الاول : علاقة الصبر بالمحبة .

المطلب الثانى : علاقة الصبر باليقين .

المطلب الثالث : علاقة الصبر بالتقوى .

المطلب الرابع : علاقة الصبر بالرضا .

المطلب الخامس : علاقة الصبر بالتوكل .

المطلب السادس : علاقة الصبر بالشكر .

المبحث الثالث
علاقة الصبر بأعمال القلوب

توطئة :

إن الصبر من أجمل الفضائل التى تربى فى النفس ملكات الخير حتى أن الإنسان لا يكون راضياً ولا قانعاً ولا وفياً ولا حليماً ولا تقياً إلا إذا كانت ملكات الصبر ظاهرة عنده ، فهو خلق فضل يمتنع به الإنسان عن فعل ما لا يحسن ولا يجمل وهو قوة النفس التى يراد بها قوام أمرها وصلاح شأنها .

كما أن الإنسان الذى يقهر شهواته ويتغلب عليها بالصبر فكأنما تجاوز امتحان الشخصية ، وتجلت حقيقة ثبات الدين وبواعثة فى نفسه والقدرة على مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الإنسان وهى التى تجعله هادئاً و رزيناً و تبعد عنه الطيش ، ومما يؤكد ذلك ما اشار إليه علماء النفس من أهمية الصبر ودوره فى تكوين وثبات الشخصية السوية ، وتماسك البناء النفسى للإنسان ويرجع ذلك إلى مدى ارتباط الصبر بالإيمان وبالقيم العليا التى تحافظ على التوازن النفسى و تحقق الصورة المثلى لبشرية الإنسان فى الواقع. وفى اعتقادى أن التوازن النفسى لا يتحقق إلا بصلاح أعمال القلب ومن أهمها المحبة واليقين و التقوى والرضا والتوكل والشكر .

المطلب الاول : علاقة الصبر المحبة :-

إن الله سبحانه و تعالى علق محبته بالصبر وجعلها لأهله فقال تعالى : "و كأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين "(١). ومحبة الله هى المنزلة التى فيها يتنافس المتنافسون وهى قوت القلوب و غذاء الأرواح وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الأموات. ومن لوازم هذه المحبة التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض و دوام ذكر الله على كل حال ، ومطالعة القلب لأسمائه وصفاته فمن عرف الله باسمائه و صفاته أحبه واستسلم وذل له وتوكل عليه وصبر على الابتلاء والتمحيص الذى يختبر به الله عبادة قال تعالى : " أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين "(٢).

يخبر الله تعالى عن تمام حكمته و أن حكمته لا تقتضي إن كل من قالوا أنهم مؤمنون و ادعوا لأنفسهم الإيمان أن يكونوا فى حالة يسلمون فيها من الفتن و المحن ، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم . فإنهم لو كان الأمر كذلك لما تميز الصادق منهم من الكاذب. ولكن سنته فى الأولين و فى هذه الأمة أن يبتليهم بالسراء و الضراء فمن كان عند ورود الضراء والشبهات يعمل بمقتضى الإيمان و يصبر ويجاهد فى الصبر على الضراء ومدافعة الشبهات بما معه من الحق دل ذلك على صدق إيمانه وصحته(٣).

---

(١) سورة آل عمران ــ الآية " ١٤٦ ".

(٢) سورة العنكبوت ــ الآيتان " ٢ – ٣ ".

(٣) عبد الرحمن بن ناصر بن السعدى ــ ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ــ تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ــ ط (١) ــ ص (٧٣٥).

يقول ابن القيم الجوزية : " إن المحب يجد من لذة المحبة ما ينسيه المصائب و لايجد من مسها ما يجد غيره ، حتى كأنه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق . بل يقوى سلطان المحبة ، و يتلذذ المحب بكثير من المصائب التى يصيبه بها حبيبه أعظم التلذذ بحظوظه وشهواته "[١].

فحقيقة الصبر مع الله هو ثبات القلب بالاستقامة معه قال تعالى : " وما صبرك إلاّ بالله "[٢]. وهذه الآية تتضمن أمرين هما : الإستعانه به سبحانه والمحبة الخالصة له به والتى صرح بمضمونها فى قوله تعالى : " إن الله مع الصابرين "[٣].

وهى المعية الحاصلة للعبد الذى تقرب إليه بالنوافل حتى صار محبوباً له . قال صلى الله عليه وسلم : " إن الله قال من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب و ما تقرب إليّ عبدى بشئ أحب إليّ مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ... إلى آخره[٤].

---

(١) محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى ــ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ــ مدارج السالكين / ابن القيم الجوزية ــ ط (٢) ــ ص (٣٦).

(٢) سورة النحل ــ الآية " ١٢٧ ".

(٣) سورة الأنفال ــ الآية " ٤٦ ".

(٤) محمد بن إسماعيل الجعفى ــ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ــ صحيح البخارى ــ ط (٣) ــ ص (٢٣٨٤).

المطلب الثانى : علاقة الصبر باليقين :-

إن اليقين بالله وقدرته ونفاذ أمره وقدره والثقة بقرب فرجه وثوابه الجزيل على الصبر ، كل ذلك من الامور التى تبعث على الرضا بما قدر الله على العبد من ضيق أو بلاء أو حاجة أو فقر ، ذلك الرضا الذى يجعل الحياة تبدو جميلة بطاعة الله ، ويجعل لها طعماً لا يتذوقه إلا الصابرون أصحاب اليقين بالفرج فهم بين فرج قريب فى الدنيا وثواب جزيل فى الآخرة وذلك ما يهون عليهم أى مصيبة مهما عظمت ، ولذلك دعا رسول الله عليه الصلاة والسلام : " اللهم إنآ نسألك من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا " (١).

إذ باليقين يكون الرضا فتهون مصائب الدنيا ، ويطمئن قلب الإنسان ، و تسكن نفسه فيستطيع تحمل الحياة بما فيها من ابتلاء وبلاء إطمئناناً إلى عاقبة الصبر المحمودة فى الدنيا والآخرة وهذا ما لا يستطيعه اليائسون ، ولذلك كثيراً ما نجدهم يفرون من الحياة إما إلى الموت انتحاراً أو إلى الموت البطئ بتناول سموم المخدرات والمسكرات وغيرها .

واليقين هو الباعث على الرضا ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو : " اللهم إنآ نسألك الرضا بعد القضاء "(٢). فإن من رضى فله الرضا و من سخط فله السخط كما جاء فى الحديث : " إن عظم الجزاء مع عظم البلاء و إن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا

---

(١) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى ــ ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ــ السنن الكبرى ــ ط (١) ــ ص (١٠٦).

(٢) أبو حاتم محمد بن حبان البستى ــ ١٩٩٣ م ــ صحيح ابن حبان ــ ط (٢) ــ ص (٣٠٥).

ومن سخط فله السخط "[١].

(١) ويغفل كثير من المسلمين عن هذه الحقيقة وهـى أن الابـتلاء دليل محبة الله للعبد فيسخطون ويتساءلون (ماذا عملنا من سوء) فتتحول المحبة إلى سخط مع أنهم لو رضوا لرضى الله عنهم وذلك أعلى درجـات أهل الصبر و الإيمان ، قال تعالى : " رضى الله عنهم و رضوا عنه "[٢]. ولذلك لا يصبر على شدة البلاء إلا مؤمن. قال صلى الله عليه وسـلم : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك إلا لمـؤمن إن أصـابته سراء شكر فكان خيراً له و إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له "[٣].

و اليقين هو كمال الإيمان قال ابن مسعود : " اليقين الإيمان كلـه و الصبر نصف الإيمان "[٤]. واليقين هو الذى يعين على الصبر على المكاره ، يعين الفقير على الصبر على الفقر ، ويعين المكروب على الصبر علـى كربته و إلا فإنه سيلتمس الفرج من الناس ويتعلق بهم ، وبالجملة فأن مـن لايقين له البته فلا إيمان له ولا صبر ، نلمح ذلك من قوله تعالى : " فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون "[٥].

إذ الإيمان بصدق وعد الله واليقين به يبعث على الصبر وتحمل الأذى و الضر وقد أمر الله تعالى رسوله بالصبر فى مقابل الذين لا يوقنون .

---

(١) محمد بن عيسى الترمذى السلمى ــ سنن الترمذى ــ جـ (٤) ــ ص (٦٠١).

(٢) سورة البينه ــ الآية " ٨ ".

(٣) مسلم بن حجاج النيسابورى ــ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ــ صحيح مسلم ــ ط (٢) ــ ص (٢٢٩٥).

(٤) محمد بن إسماعيل البخارى ــ ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ــ صحيح البخارى ــ جـ (١) ــ ط (١) ــ ص (١١).

(٥) سورة الروم ــ الآية " ٦٠ ".

المطلب الثالث : علاقة الصبر بالتقوى :-

لقد جمع القرآن الكريم بين الصبر والتقوى في ثمان مواضع ورتب على اجتماعها أمور عديدة وهي :

أولاً : السلامة من كيد الأشرار والفجار. قال تعالى : " إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعلمون محيط "(١).

فأعداء المسلمين يكيدون لهم كل مرصد وإنما باجتماع تقوى الله مع الصبر يرد الله كيد الكافرين إلىنحورهم فينقلبوا خاسرين .

ثانياً : المدد من الله والبشارة والطمأنينة التي هي مقدمات النصر قال تعالى : " بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة ألاف من الملائكة مسومين. وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم " (٢).

فاجتماع الصبر والتقوى خاصة عند منازلة الأعداء سبب للمدد من الله و البشرى واطمئنان القلوب بالنصر من الله ، وهذا شرط لانتصار المؤمنين .

ثالثاً : تفريج الكربات ورفع البلاء وحسن العاقبة مع الوصول إلى مرتبة الإحسان قال تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام لما التقى بهم :" قالوا أئنك لأنت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا إنه من يتق و يصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " (٣).

---

(١) سورة آل ـ عمران الآية " ١٢٠ ".

(٢) . سورة آل عمران ـ الآيتان " ١٢٥، ١٢٦ "

(٣) سورة يوسف ـ الآية " ٩٠ ".

فمع حصول الفرج فى الدنيا لمن يتق ويصبر يظل اجر صبره محفوظ له في الآخرة لأن الله لا يضيع أجر المحسنين ومن اجتمع له الصبر والتقوى فهو في درجة المحسنين .

رابعاً : معيته تعالى للصابرين والمتقين. قال تعالى :"و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون "(١).

فالصابرون إلى جانب أن صبرهم عن معاملة غيرهم بالمثل خير لهم فإن الصبر لله وتقوى الله سبب لمعية الله لهم " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (٢). وذلك تعقيباً للأمر بالصبر " واصبر وما صبرك إلا بالله " (٣). وقال تعالى : " إن الله مع الصابرين "(٤).أى معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه فكان الأمر المؤكد بالصبر " واصبر وما صبرك إلا بالله " متضمن لمعنى التقوى والإحسان اللذان يكافئ الله أصحابها بمعيته لهم والعكس أيضاً صحيح ، فالتقوى والإحسان تتقتضى الصبر الذي جزاءه الأجر بغير حساب. قال تعالى : " قل يا عباد الذين أمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة و أرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب "(٥). ذلك أن التقوى فى الأصل هي (التوقى مما يكره لأن أصلها من " وقى ") .

---

(١) سورة النحل ــ الآيات " ١٢٦- ١٢٨ ".

(٢) سورة النحل ــ الآية " ١٢٨ ".

(٣) . سورة آل عمران ــ الآية " ١٨٦ "

(٤) سورة يوسف ــ الآية " ٩٠ ".

(٥) سورة الزمر الآية " ١٠ ".

كما أن الصبر يتضمن معنى التقوى فهو امتناع وحبس للنفس رغبة ورهبة ، رغبة فى الجزاء ورهبة من العقاب عند الجزع .

خامسا : إن اجتماع الصبر والتقوى من عزم الأمور قال تعالى : " لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور "(١).

ونلاحظ أنه تعالى قدم الصبر على التقوى في أكثر المواضع وقدم التقوى على الصبر في موضع واحد فقال : " إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " (٢).

فإذا كان الصبر من أعمال القلوب فهو من باب عطف الخاص على العام لأهميته ومكانته وشرفه. وعلى ذلك يكون تقديم الصبر على التقوى من باب أنه أعظم و أكبر في مقوماته .

---

(١) سورة النحل ــ الآية " ١٢٧ ".

(٢) سورة البقرة ــ الآية " ١٥٣ ".

المطلب الرابع : علاقة الصبر بالرضا :-

يرتبط الصبر بالرضا إرتباطاً وثيقاً قوياً وهذا يدل على مكانة الصبر وأهمية التعامل مع ضروب التجلد والاعتماد على صلابة الذات في مواجهة المصائب التي تلم بالإنسان وما يحتاجه فيها من مواقف الصبر ، وفضائل التمسك به ، بل إن تعود الإنسان على هذا الخلق يرفع مكانته في الدنيا والآخرة وليس الصبر محصوراً في المصائب والكوارث وما يحل بالمرء من صنوف الأذى ولكن الصبر على العمل للمجد والرفعة ومعالي الأمور ، فالعلم لا يأتي طوعاً و لا يحصل سهلاً ولابد من معاناة فى طلبه.

وقال صلى الله عليه وسلم :" الصبر عند الصدمة الأولى "(١). فالصبر هو معول المسلم الذي يستعين به ويعتمد عليه في مواجهة المصائب والنوازل .

قال تعالى : " واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور "(٢). فكما أن للمصائب والمحن أضراراً فان لها فوائد قد يغفل عنها خاصة الناس فضلاً عن عامتهم ، لذلك نجد الذين لهم خبرة وتجربة بالأمور ينظرون بعين البصيرة فإذا أصيبوا بمصيبة حمدوا الله تعالى واسترجعوا ورضّوا بما قدّر الله وقد أثنى القرآن الكريم عليهم بقوله : " الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله و إنّا إليه راجعون "(٣). اعترافاً منهم بأنه لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه، والصبر مقياس الإخلاص لله تعالى : " وان

---

(١) محمد بن إسماعيل البخارى ــ ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ــ صحيح البخارى ــ جـ (١) ــ ط (١) ــ ص (٤٣٠).

(٢) سورة لقمان ــ الآية " ١٧ ".

(٣) سورة البقرة ــ الآية " ١٥٦ ".

يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو "[١].

والصبر على المصائب يجعل المسلم يقبل على الله وينيب اليه قال تعالى : " و إذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه "[٢]. كما يجعله يتضرع ويدعو الله ويرضى بما قدره الله وهذا موجب لرضوان الله تعالى عليه فإن المصائب تنزل بالبر والفاجر ، فمن سخط فله السخط والخسران في الدنيا والآخرة ومن رضي فله الرضا وهذا من أعظم ثمرات الصبر على القضاء والقدر .

المطلب الخامس : علاقة الصبر بالتوكل :-

الصبر رديف التوكل على الله الذى هو ثمرة الإيمان بالله ، فلا يحصل كمال التوحيد إلا بكمال التوكل على الله .

والتوكل على الله هو : الاعتماد على الله والثقة به تعالى وتفويض الأمر إليه فلا يرجو سواه ولا يقصد إلا هو و لا يرغب إلا إليه تعالى وهو ناشئ من الإيمان الصادق بأن الله تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وإنه تعالى هو المتصرف وحده فى الملك والمعبود وحده لا شريك له[٣].

وقد مدح تعالى المؤمنين فوصفهم بأنهم قرنوا الصبر بالتوكل فقال سبحانه : " الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون "[٤]. فهم ملازمون للتوكل على الله وحده بالإضافة إلى أنهم صابرون فعلاقة الصبر بالتوكل قوية و

---

(١) سورة الأنعام ــ الآية " ١٧ ".

(٢) سورة الزمر ــ الآية " ٨ ".

(٣) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ــ ١٤١٧ هـ / ٢٠٠١ م ــ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ــ ص (٣١٠).

(٤) سورة النحل ــ الآية " ٤٢ ".

وثيقة ، وغاية ما تكون فى الدعوة إلى الله ، فإن أمر الدعوة شاق شديد الوعورة .. لأنها طلب استقامة النفوس على الحق ، وتقويم النفوس من أعسر الأمور وغالباً ما تكون ثمرته بعيدة المنال وتحتاج الكثير من الوقت والجهد ، وقد لا يلمسها الداعية أثناء حياته ، ولذلك كان عنصر الصبر من أهم عناصر نجاح الدعوة ، فالتوكل على الله من أهم مقومات القدرة على التزام الصبر الطويل ، وكثيراً ما نجد الدعاة يتوقفون أو ييأسون ، ولذلك كانت هذه المهمة الصعبة هى المهمة الأولى للأنبياء ، فهم حينما يواجهون بالتكذيب والعناد والعنت و المكابرة فى الحقائق الظاهرة والبديهات الواضحة لا يملكون إلا أن يصبروا على تكذيب الناس وأذاهم متوكلين على الله مستعينين به على الاستمرار فى طريق الدعوة حتى يفتح الله بينهم وبين أقوامهم .

ذلك أن معين الصبر قد ينضب إذا لم يدفعه توكل على الله وثقة به تعالى غير محدودة ، فمن يملك أن يصبر على قوم ألف سنة إلا خمسين عاماً إن لم يكن متوكلاً على الله ، وقد حكى تعالى عن رسله لجوءهم إلى التوكل على الله و الصبر فى قوله تعالى : " قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ، قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين. قالت لهم رسلهم إن نحن إلاّ بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون. وما لنا ألاّ نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما أذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون "[1]. فقوله تعالى (وعلى الله

---

(١) سورة إبراهيم ــ الآيات " ١٠- ١٢ ".

فليتوكل المتوكلون) يفيد – من تقديم المفعول على الفعل (وعلى الله) حصر التوكل على الله ، كما أن التعبير بالوصف المعرف (المتوكلون) بال الاستغراق يفيد أن المتوكل على الله حقاً هو المتصف بكل صفات ومعاني التوكل الصحيح وهو الموجه اعتماده ومطلق ثقته بالله وحده ، والمستعين به وحده رغبة ورهبة المفوض أمره إلى الله ، والاستعانة بالله دليل على التوكل عليه فها هو يعقوب عليه السلام يبتلى بفقد أبنيه على التوالي فلا يجد ملجأ إلا الاستعانة بالله والصبر. قال تعالى : " وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون " [١]. ثم قال له أبناؤه " يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلاّ بما علمنا وما كنا للغيب حافظين "[٢]، فرد عليهم قائلاً : " بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم "[٣]. فيعقوب عليه السلام الزم نفسه في المرتين بالصبر الجميل وهو : الصبر الذي لا شكوى فيه من غير جزع بل فيه الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره [٤]. وتلك هي قمة التوكل على الله والصبر على المصيبة وهي قمة الإيمان.

---

(١) سورة يوسف ــ الآية " ١٨ ".

(٢) سورة يوسف ــ الآية " ٨١ ".

(٣) سورة يوسف ــ الآية " ٨٣ ".

(٤) الإمام إسماعيل بن حمر بن كثير ــ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ــ تفسير ابن كثير ــ جـ (٨) ــ ص (٢٤٣).

المطلب السادس : علاقة الصبر بالشكر:-

أن ما يلفت النظر - حقاً - هو اقتران الصبر بالشكر معاً لصيغة المبالغة في كل المواضع التي ذكرا فيها معاً ، فقد جمع القرآن بينهما بلفظ " صبار شكور "[١]. مسبوقة بعبارة " إن فى ذلك لآيات " في أربع مواضع فى أربع سور من القرآن الكريم . قال تعالى : " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إن اخرج قومك من الظلمات إلىالنور وذكرهم بأيام الله أن في ذلك لآيات لكل صبار شكور "[٢].

قال ابن كثير : " أى أن في صنعنا بأوليائنا بنى إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون وانجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبر ومواعظ كثيرة عظيمة الأهمية والنفع كما هو المستفاد من تنكير الآيات وجمعها لكل صبار في الضراء ، شكور فى السراء وخص تعالى إدراك كل صبار شكور بتلك الآيات ، فكأن غيره لا يدركها أو لا يدركها كلها ، والتعبير بصيغة المبالغة "صبار" أى كثير الصبر وشكور كثير الشكر يفيد أن تلك منزلة لا يبلغها أي صبار ولا أى شاكر واجتماعها على ذلك الوجه لا يكون إلا في مؤمن كامل الإيمان"[٣].

وكمال الإيمان جمع كمال الصبر مع كمال الشكر قال انس بن مالك : الإيمان نصفان نصف شكر ونصف صبر "[٤].

---

(١) سورة الشورى ــ الآية " ٣٣ ".

(٢) سورة إبراهيم ــ الآية " ٥ ".

(٣) الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير ــ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ــ تفسير ابن كثير ــ جـ (٨) ــ ص (٢٩٠).

(٤) محمد بن سلامة القضاعى ــ ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ مـ مسند الشهاب ط(١) ــ ص (١٢٧).

وجاء فى الحديث الصحيح : " إن أمر المؤمن كله خير لا يقضى الله له قضاء إلاّ كان خيراً له ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً لـــه ، و إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له "[١]. وفى الحقيقة أن من مارس الصـــبر فى كل أحواله خالصاً لله تعالى وابتغاء وجهه هو أبعد ما يكون عن الغفلـــة وأقرب ما يكون من الله " ان الله مع الصابرين " [٢].

ولهذا فلا غرابة أن ينظر بعين العقل والتدبر لآيات الله حوله ، وسننه تعالى فى خلقه وتدبره لكونه فيدرك ما يظهر من حكمة الله فيهـــا ، ويجـــد فيها عبرة يعتبر بها ، وعظة يتعظ بها ، فإن كان فى سراء اعتبر بمهالـــك القوم الكافرين حين بطروا نعمة الله فازداد شكراً لله وإن كان فى ضـــراء وجد فيها تسرية و تذكير بقدرة الله مما يزيد فى يقينه بالله وصبره له ،

وأما من قل صبره ، وقل شكره ، فإنما قد تزيده هذه الآيات ســـخطاً وتبرماً إذا لم تثر شعوره أصلاً فهو مشغول بأمره ونفسه عن النظـــر فـــى آيات الله .

والشكور : من التزم الشكر فهو شاكر لأنعم الله دونما بطر ، والنفس قد تغتر بالنعمة ، وتظن أنها تستحقها وتستبعد زوالها فتبطر وتطغى ، ولا عاصم من ذلك إلا الإيمان بالله المنعم وهو وحده المانع والمعطـــى وإنمـــا تدوم نعمه بالشكر ولذلك فالشكر نصف الإيمان والشاكر يعينه على شـــكره ما يراه من قدرة الله تعالى فى السلب والعطاء فهو يرى قدرة الله فى تحويل الأمور قال تعالى :" فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلنـــاهم

---

(١) مسلم بن حجاج النيسابورى ــ ١٣٩٨ هـــ / ١٩٧٨ م ــ صحيح مسلم ــ ط (٢) ــ ص (٢٢٩٥).

(٢) سورة البقرة ــ الآية " ١٥٣ ".

أحاديث و مزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور "[1]، شكور على النعم إذ يجد في ذلك ما يثبته على أمره فيزداد شكره لكي يتجنب موارد الهلاك التي وقع فيها هؤلاء القوم بكفرهم نعمة الله .

وأما من لا صبر له ولا شكر فإنه يغفل عن هذه الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى فلا يتعظ ولا يعتبر فيكون ماله الهلاك والخسران والحسرة والعياذ بالله .

ونلمح من العبارة المأثورة عند المصائب : " الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه" نوعاً من أنواع الشكر الرفيع لله على جميع أقداره ، فيجب أن يكون الصبر في الضراء وفي السراء ، صبر على نعم الله بالمداومة على شكرها و أداء حقوق الله فيها و صبر في الضراء ، إذ يكون أيضا الشكر شكر في السراء على نعم الله وشكر في الضراء على قدرة الله ولطفه إذ إن كل مصيبة تهون عند مصيبة الكفر ، وعصيان الله .

---

(١) سورة سبأ ــ الآية " ١٩ ".

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وبعد، فقد أبان هذا البحث عن عدة أمور ونتائج إجمالها فيما يلى :

١- إن معنى الصبر معنى واسع يمتد فيشمل مساحة كبيرة من النفس الإنسانية .

٢- إن الصبر يرتبط بمراتب الدين العليا و واجباته المفروضة بعلاقة تتفاوت فى السعة والنوع .

٣- إن الصبر ينبع من معين العقيدة فى الإسلام ويرتبط أشد الارتباط بها فهو مقتضى عقدي و واجب إسلامى تأكد الأمر به ، والأمر يقتضي الوجوب .

٤- للصبر علاقة وطيدة بأعمال القلوب ومحاسن الأخلاق وعنصر مشترك فيها بل فى كل منها .

أسأل الله العلى العظيم أن يلهمنا الصبر المحقق للإيمان بالله وحسن العمل و الخلق وأتضرع إليه تعالى أن يعفوا عما زل به القلم أو شرد به الفكر مما لا يليق بمعاني آياته الشريفة ومراميها النبيلة ، وما أصبت فيه الحق فهو بتوفيق الله ، وما أخطأت فيه فمن نفسي وهو تعالى أهل العفو وأهل المغفرة وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

فهرس المراجع

١. القرآن الكريم .

٢. البداية والنهاية ــ للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى ــ تحقيق : على شيرى ــ دار أحياء التراث العربى ــ بيروت ــ المجلد رقم (١٢) ــ الطبعة الأولى ــ ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

٣. السنن الكبرى ــ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى ــ تحقيق ومراجعة : عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ــ ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٤. الصبر فى القرآن ــ محمود بن الشريف ــ شركة مكتبات عكاظ ــ السعودية.

٥. اللطائف والظرائف ــ ابو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى ــ دار المناهل للطباعة والنشر ــ الطبعة الثانية ــ ٢٠٠٠ م.

٦. المستدرك على الصحيحين ــ محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ــ تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ــ ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

٧. المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ــ أحمد بن محمد بن على الفيومى المقرئ ــ مكتبة لبنان ــ المجلد رقم (١) ــ ١٩٨٧ م.

٨. المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية ــ دار المعارف ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م.

٩. إحياء علوم الدين ــ أبو حامد الغزالى ــ دار القلم . بيروت ــ الطبعة الرابعة ــ ١٩٨٧ م.

١٠. تفسير ابن كثير ــ للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير ــ تحقيق :

سامي بن محمد السلامة ــ دار طيبة ــ المجلد رقم (٢) ــ ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

١١. تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ــ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدى ــ تحقيق : محمد بن صالح العثيمين ــ دار البيان الحديثة للنشر ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ــ ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

١٢. سنن الترمذى ــ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ــ تحقيق ومراجعة : أحمد محمد شاكر وآخرون ــ دار إحياء التراث العربى ــ بيروت ــ المجلد رقم (٤).

١٣. صحيح ابن حبان ــ أبو حاتم محمد بن حبان البستي ــ تحقيق : شعيب الارناؤوط ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٩٣ م.

١٤. صحيح البخارى ــ محمد بن إسماعيل البخارى أبو عبد الله ــ دار ابن كثير ــ دمشق / بيروت ــ المجلد رقم (١) ــ الطبعة الأولى ــ ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

١٥. صحيح البخارى ــ محمد بن إسماعيل الجعفى ــ تحقيق ومراجعة : مصطفى ديب البغا ــ دار ابن كثير ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ــ ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

١٦. صحيح مسلم ــ مسلم بن حجاج النيسابورى ــ تحقيق ومراجعة : محمد فؤاد عبد الباقى ــ دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

١٧. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين / ابن القيم الجوزية ــ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ــ تحقيق : زكريا علي يوسف ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت.

١٨. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ــ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ــ تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ــ دار الحديث للنشر ــ ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

١٩. لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى – دار صادر للنشر والتوزيع – بيروت – المجلد رقم (١١) ــ الطبعة الثالثة – ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

٢٠. مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ــ عبد الله بن أحمد بن على الزيد ــ دار السلام للنشر والتوزيع ــ الرياض ــ الطبعة الأولى ــ ١٤١٦هـ .

٢١. مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ــ الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي ــ تحقيق : عبد الرحمن بن ناصر البراك و آخرين ــ جامعة الأمام محمد بن سعود ، الرياض ــ المملكة العربية السعودية ــ الجزء رقم (٤).

٢٢. مدارج السالكين / ابن القيم الجوزية ــ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ــ تحقيق : محمد حامد الفقى ــ دار الكتاب العربى ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ــ ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م.

٢٣. مسند الشهاب ــ محمد بن سلامة القضاعي ــ تحقيق : حمدى بن عبد المجيد السلفى ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ــ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٢٤. موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ــ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ــ دار رواح للنشر والتوزيع ، الرياض ــ السعودية ــ ١٤٢١ هـ .